أغربة الزرع

أرفع رأسي دون أن أسمع شيئا
وهي هناك، تأخذ في النعيق
عندما أنظر– ثقل للهواء
حتى في هذا الجانب من النافذة
إن حركتها تأخذ في الاضطراب
من جراء آلية النظام: حومان منفرد،
خروج زائف في مجموعة، أجنحة متوقفة،
عنان السماء، لمرات عدة
يجتمع السرب في طيران وفقط
طائر أو اثنان يمانعان، ينتظران،
في النهاية يرجع الآخرون.
النظرة لا تعرف أن تميز الاندفاع غير المجدي
للطقس المكتمل: الانسحاب اليومي للغربان
التي تتجمع فوق الأحجار القوطية
قبل أن تبتعد صوب ضفة النهر.
موسيقى الانسحاب: صرخات حادة متفرقة،
عاصفة كورال أخيرة. بعد ذلك
بالكاد يبقى ضوء.

حولنا، في تلك الشرفة
كان العجائز قد بدأوا بالتجمع،
كان يرى جزءاً كبيراً من الوادي،
مدرجات أشجار اللوز لا تزال خضراء
متنا لمتن، البيوت الصغيرة هابطة إلى القاع.
العرجاء، متسندة على عكازها، هي أول من يصعد المنحدر.
هي من تستقبل كل أنواع المزاح
فوق نادي آلام العظام
بتكشيرة لطيفة، هي لا ترفع صوتها فحسب.
والعود الساخر الذي تتخلل به،
ولدت في العام نفسه الذي ولد فيه أبي
وفجأة يبدو أن عام 1925 بعيد جدا
عما يمكننا تخيله. إيقاع الحديث يتغذى وحده:
العادات ووظائف الأبناء، العزلة والفخر بالأولاد.
عدلنا حينئذ عن البحث عن اللوز،
بالهدوء الغريب للشرفة،
ببطء تلك الدقائق، بركن الداليا الوديع،
والأقحوانات التي لم تقطف بعد.

من المغلف بحروفه التي لا تخطئها عين
تخرج معجزات متفرقة. من حيث
تعلن البطاقة البريدية عن المحتوى
أقرأ:
Un livre et des papiers (poèmes...)[*]
تبدو الحياة مفتوحة، كما يقال،
من اليد. تجيئني جملة المغلف من فوق عصر الرصاص،
لكن ربما كل العصور من الرصاص.
يحكي عن مؤتمر جديد:
ثلاثون منتسبا للبيروقراطية النقابية،
الوجوه التي تتبنى الكتامة،
المرارة تتملك كيمياءها، متينة في ارتداداتها.
لكنه يتحدث عن المؤتمر كما يتحدث عن النبيذ الأحمر الذي يحبه،
والذي يتشارك فيه مع الأصدقاء، وأنا أصغي،
أسأله؛ هكذا يكون الفقد أكثر كثافة
والهزيمة أكثر انسيابا، بطبقات لا تنغلق لمرة واحدة.
– رغم عزلتنا الشديدة فلسنا وحدنا.
أطبق على فكي بقوة وأنا نائم ويؤلمني فمي في الصباح،
لم يخطر على بالنا أبدا أن نبحر
رافعين إنذار الشراع الأسود.

---

[*] بالفرنسية في الأصل، كتاب وأوراق (قصائد...). م.

أتعلم كلمات جديدة مجردة:
أخوات، هذا الشهر، أب، الأطفال،

وكذلك أخرى محددة: ***أمس، غدا،***

بابلو، بارد، رأسي عائم.

الأخذ في تجاوز النبض الشخصي
الذي يرسمها، الذي يجعلها مفردة
أو يتركها في الظلام.
فقد التعبير عن شيء
يشبه لحظاتها الأكثر حدة،
تيار كيميائي
يعتمد على الصدفة. ثمة لقاء فقط
إذا ما تمت المصادفة، المسافة
لا تعرف قياسا في حالة أخرى.
طنين وظهور للدخان
يجذب النظر نحو الشرفة،
حيث المياه التي تسقى العشب، الزهور
تصعد بشكل دائري
في أول الخريف.